ترجمـــات

تبيين "اليوم" في الوعي التاريخي والوعي الفلسفي

لـ: مارتن هيدغر

ترجمة: د.عمارة الناصر[1]

يتعلق الأمر هنا بالقبض على حالة تبيين اليوم كما تُعرض في الوهلة الأولى عموماً، وهذا من أجل القبض على خاصية كينونة الواقعانية، بالرجوع تأويلياً من خلال نقطة الانطلاق هذه. إن خاصية الكينونة المقبوضة بهذه الطريقة يجب أن تتطور إلى مستوى المفهوم، يعني أن تُوضَح من جانب إلى آخر بوصفها وجودانية من أجل توفير مدخل أنطولوجي أوليّ إلى الواقعانية [2]. سيتمّ استكشاف حالة تبيين "اليوم" في اتجاهين للتبيين. ويمكن لهذين الاتجاهين أن يتجسدا في:

1) الوعي التاريخي لليوم 2) فلسفة اليوم.

إن اتجاه التبيين هو اتجاه سامٍ لأنه يحتوي على الكيفية الهرمينوطيقية (ليس مجموعة من المواقف، نمطية وجهات النظر لمعرفة كل ما له علاقة، وليست سيكولوجية للفلسفة). إن الأمر يتعلق بالنظر في الكيفية التي يوجد عليها الدزاين، دزايننا اليوم، في طرق كينونته، مقولاتياً، ويتعلق الأمر أيضا بالتعلّق بالدزاين، متسائلين عمّا إذا قدّمت هذه النزعة التبيينية رؤية واضحة للدزاين، وأيّة أنطولوجيا متضمنة في ذلك.

1- حالة تبيين اليوم في الوعي التاريخي: إن اختيار الوعي التاريخي ليمثّل خصائصيا حالة تبيين اليوم هو اختيارٌ مبررٌ بالمعيار التالي: الطريقة

---

[1] - أستاذ الفلسفة المعاصرة، قسم الفلسفة، جامعة مستغانم. وهي ترجمة لجزء من كتاب هيدغر:
Martin Heidegger, « Ontologie, Herméneutique de la factivité », éd. Gallimard, Paris, PP :58-66.

[2] - إن هذا الكلام هنا يحقق ما نبحث عنه، ولكنه يضلّ تماما من زاوية منهجية لأنه معقد جدا وبدون رؤية موضوعية مسبقة"، ملاحظة هيدغر على هامش هذا النص.

التي يَتَصور بها عصرٌ ما الماضي (العصر هو: اليوم الذي يوجد في كل مرة) (دزاينٌ ماضٍ، له أو لآخر)، ويُقاربه خطابياً، يستحضره في الذاكرة أو على العكس يتخلى عنه، تلك الطريقة هي مؤشر على الشكل الذي يرتبط فيه الحاضر بنفسه، ويوجد، كدزاين، في هناه (من هنا). ليس هذا المعيار إلا صياغة خاصة لخاصية أساسية للواقعانية، بالنظر إلى زمانيتها.

يمكن للطريقة التي يرتبط وفقها يومنا بالماضي أن تُبرهن عن نفسها بالارتباط بالعلوم التاريخية للفكر. وتُشكل هذه العلوم الصيغة التي من خلالها تجعلُ التجربة التاريخية الحياةَ الماضية أمراً مُتاحاً، كما توفر المؤشرات المنهجية الأساسية لجعل الماضي موضوعيا علميا ونظريا. إنها تَحضر إلى "الوعي الثقافي" (أسلوب لحالة التبيين العمومي)، بشكل محكم، الماضي التاريخي حسب الخاصية المحددة التي تعطيها إياه، وحسب مقاربات محددة. الماضي، الحياة الماضية كموضوع بحث للعلوم.

هل الدزاين الماضي مفهومٌ مسبقاً في هذه العلوم؟ في أية خاصية موضوعية هو موجود بالنسبة إليها؟ إن الفن، الأدب، الدين، الأخلاق، المجتمع، العلم والاقتصاد لها خصائص مخصوصة تسبق وتُوجه كل مساءلة وتحديد ملموس: إنها تجعل الذاتي موضوعيا، إنها "أشكال تعبيرية" عن حياة ثقافية تريد أن تتجلى فيها. (روح الثقافة)[3].

إن التحديد الوحيد، الذي يُهيمن على الكل، والذي فيه تعبّر ثقافة ما عن نفسها، حيث تبقى وتضمحل، هو "الأسلوب" الذي هو ثقافة. إن عدم مساءلة خاصية كينونة هذا التحديد، حيث أن التكوينات الثقافية هي تعبير، يدلّ بوضوح على أن الأمر يتعلق هنا وقبل كل شيء بفهم أشكال التعبير على هذا النحو في تعبيريتها. إن تحديد حالة أن تكون موحَدا ووحيدا هو التالي: إن الثقافة كائن حي، حياة مستقلة (نمو، ذروة، ذبول).

[3] - هذا سيكولوجي جدا، أنظر لاحقا طريقة الكينونة-الزمانية، الكينونة- لـ والأنطولوجيا المهيمنة". حاشية هيدغر.

لقد أعطى شبنغلر [4] تعبيراً متسقاً وبارزا لرؤية الماضي هذه. لقد انخفضت درجة الإثارة العميقة للفلسفة ولتخصصات علمية أخرى منذ زمن بعيد. وقد بدأنا بالاستفادة خِفية من الكل بما في ذلك التيولوجيا. لقد فتح هؤلاء من دون شك الطريق بأعمالهم: نيتشه، دلتاي، برغسون ومدرسة تاريخ الفن لفيينا (كارل لومبرخت Karl Lamprecht). لكن العنصر الحاسم هو أن شبنغلر كان قد مهّد الطريق بحق لكل من يصبو إلى هدف حقيقي حتى وإن كان ذلك بشكل غير دقيق وفي نوع من الخوف. لم يكن لأحدٍ قبل شبنغلر الشجاعة في أن يجعل الإمكانية المحددة فاعلة وهي الإمكانية الحاضرة منذ أصل الوعي التاريخي الحديث والتي تبقى مشتغلة طوال تطوره.

من غير الممكن تجاهل الخطوة "الجديدة" التي أنجزها (شبنغلر). على الرغم من أفكاره المستهلكة وغير المكتملة، ونزعة الهواية في القضايا الأساسية وفي المقاربة المفهومية إلا أن ذلك لا يجب أن يحجب عنّا دقة ملاحظاته. توجد قوى فاعلة هنا تحيا في مهنة تدريس الفلسفة، مما جعله يعاني في ظل أجواء مثبطة. لقد أحسّ بما كان يحدث. بينما تصرف الآخرون كما لو أن الأمور تسير على ما يرام.

إن السؤال المطروح الآن هو: كيف تمّ تحويل الماضي بوصفه موضوعاً متجلياً ومعبراً إلى موضوع للبحث داخل مؤسسة المعرفة النظرية (العلم) وما هي هذه المؤسسة؟ هي ثقافة (تعدد الثقافات)، بوصفها كائنا مغلقا له حياته الخاصة، تستند إلى ذاتها. في تعدد الثقافات التي تتقابل في التراث مع تبيين محدد لذاتها، كل ثقافة، في خاصية كينونتها الأكثر خصوصية، تُعادل الثقافة الأخرى (بوصفها نباتاً). لا يمتلك أيّ دزاين ماضٍ

[4]- *Der Untergang des Abendlandes. Umrisse einer Morphologie der Weltgeschichte, t.1:"Gestalt und Wirklichkeit", München, 1920.*

في كينونته أية أوليّة على دزاين آخر. ما ينطبق على تمثل ثقافة ما ينطبق على الثقافات الأخرى.

إن الخصائص الموضوعية والأنطولوجية للماضي تتضمن بالضرورة على كونية النظر التاريخي. بالبقاء في الموضوع نفسه، وبهدف تحديد زاوية النظر، لا يوجد سبب لأن تُختزل في ثقافة بعينها والاقتصار على استكشاف وحيد لها. والنتيجة أن حقل النظر التاريخي يتسع لدرجة أن مصير الإنسانية كلها يجب أن يصبح ممكن الرؤية.

ما هو إذن أسلوب القبض النظري، الشرح، والإعداد المفاهيمي الذي يتضمن نوع موضوع وكينونة الماضي المُموضع على هذا النحو؟

ليس مصادفةً أن يصبح اليوم تاريخ الفن الأكثر فعالية من بين كل العلوم التاريخية للفكر، ولذلك تحاول العلوم الأخرى محاكاته.

يتم تفحّص كل ثقافة انطلاقا من الطريقة التي تعبّر فيها تكويناتها في كل مرة، وتتمّ مساءلتها بالنظر إلى أسلوبها، أي عندما يتم تجديد أشكالها التعبيرية المختلفة في شكل أساسي لـ"الأرواح المُشكِّلة للإنسانية" (الخاصية الوحداتية لكينونتها، ماذا نسميه هذا؟). نشرح الماضي نظريا باستخراج الخصائص الشكلية لشيء يمتلك شكلا، وبعبارة أخرى نُكوّن له مورفولوجية.

بناءً على هذه القاعدة الأنطولوجية، فإننا قبالة تعددٍ لثقافاتٍ هي في ذاتها معادلة لبعضها البعض من الناحية الأنطولوجية، إذ يجب أن يكون التحليل المورفولوجي مناسباً لهذا السياق الموضوعي نفسه. يجب أن تتم مساءلة التعدد (الثقافي) في بنيته الشكلية كذلك، كما يجب أن يصبح (التعدد) متاحاً في خاصيته الشكلية. يجب أن تُلاقي كل ثقافةٍ الثقافات الأخرى انطلاقا من شكلها. حيث يندرج منهج المقارنة المورفولوجية الكونية. وتستدعى هنا الخصائص العقلانية للتناظر، التماثل، المعاصرة والتوازي.

تُودع شمولية الماضي التاريخي، المفهوم في هذا المنظور، في سياق شكلي ممتلئ بالأشكال (أو بالأحرى تنزع إلى الإيداع، إلى تشكيل مستودع قابل للهيمنة بنظرة واحدة باتباع مجرى محدد). يمكن القبض على هذه الشمولية من خلال سلسلة من الجداول والأبواب التي تنتظم حسب عدد معين من محاور المقارنة.

إن الاستباق الرئيسي للخاصية الموضوعية للماضي، بوصفه شكلا تعبيريا ووحدة أسلوبية للثقافات المستقلة، يؤدي إلى شكل محدد للتفسير التاريخي، وهذا بسبب الحقل الموضوعي أكثر من الموقف الذي نتخذه منه، ويتعلق الأمر بالتنظيم بواسطة المقارنات المورفولوجية. (النظام هو الإمساك بالشكل). والنظام بشكل أدق هو فكرة الثقافة بشكل عام، التبعات، القطب المعاكس).

يعرض شبنغلر هذه الخطة في كامل مداها، فيقول: "لقد استشفيّت منهجاً في البحث التاريخي - الغربي بالخصوص- بالمعنى الأكثر دقة للمصطلح، والذي بقي غير مطروقٍ إلى يومنا هذا وغريبا عن الفكر القديم وغيره. نظرة واسعة من علم الفراسة لشمولية الوجود، مورفولوجية مصير كل الإنسانية التي تنمو إلى أن تصل إلى الأفكار النهائية والسامية، إن واجب تفحّصِ الشعور الكوني ليس لروحه الخاص بل لكل الأرواح المتجلية بصفة عامة في الإمكانات الكبرى، حيث أن الاندماج في مجال الواقع يتلاءم مع الثقافات المختلفة. إن هذا المنحى الفلسفي، مما يعطينا الحق ولنا فقط في الرياضيات التحليلية، الموسيقى الطباقية والرسم المنظوري، كل هذا يفترض، عبر مهارات منهجية، شيئا ما جيدا سيحدث لاحقا...، أُذن فنان، ولكن لفنان يشعر بأنه يذوب كليةً في العالم

المحسوس والواقعي المحيط به، في حميمية عميقة للعلاقات العجائبية. هذا ما أَحسَّ به دانتي Dante وغوته Goethe "[5].

(تطبيقه اللاحق لمجال التاريخ العادي. تاريخ الأديان، إلخ. التكرارُ واللغوُ اللذان لا يؤديان إلا للالتفاف على القضية دون مقاربتها حقيقة).

2- حالة تبيين "اليوم" في فلسفة اليوم:

إن التمثيل الخصائصي الثاني لحالة تبيين اليوم موجود في فلسفة اليوم. إذا جعلنا من الفلسفة أسلوبا لتبيين الدزاين الواقعاني فهذا بسبب خاصية شكلية ما للفلسفة التقليدية. بصفة عامة وسطحية، فإنه يمكن للنزعة التقليدية للفلسفة أن تمتلك الخاصية التالية: الفلسفة كتحديد "لشمولية الكائن" في مجالاته المختلفة وكتحديدٍ للوعي الذي نمتلكه في كل مرة، وللاثنين معا في وحدة تجمعهما، وهذا بالنظر إلى أسسها ومبادئها.

يجب على دزاين الحياة أن يدخل بالضرورة في أفق الحقل الموضوعاتي والخصائصي. لقد أدّت تخصصات الفلسفة التقليدية كعلم الأخلاق، فلسفة التاريخ، علم النفس، إلى "الكلام" بطريقة ما. إنها تطرح الأسئلة دائما بشكل ضمني في توجهها، في حين أنها ثابتة من حيث المبادئ. في الإشكاليات التقليدية لهذه التخصصات تُرافق الحياة الإنسانية دائما الموضوع المُساءَل، بشكل ضمني ومن وجهة النظر هذه أو تلك. يجب أن يكون في مقدورنا أن نجني هرمينوطيقياً، لهذه الفلسفة نفسها، هذا الذي "بوصفه ماذا" القابضِ مسبقا على دزاين الحياة، كيف يكون للحشو الكلامي مسار، كيف نعبّر عن أنفسنا في هذه الفلسفة التي تُظهر الطريقة الخاصة التي يتكلم فيها عصرٌ ما عن نفسه وعن الدزاين الخاص به.

[5] - المرجع السابق، ص128. (إحالة هيدغر).

ما يهمّنا هنا هذه المعاينة الهرمينوطيقية فقط. سوف لن نلتزم بشرح هذه الفلسفة أو دحضها بدرجة أقل. إن الوصف الدقيق للتيارات الفلسفية المختلفة لا يقدم أية فائدة، بل إنه يضللنا عن هذا السؤال الوحيد والأوحد: في أيّ منظور يتم تصور الحقل الموضوعي للفلسفة؟

إن موضوع الطرح هنا هو الكلّي، كلّية الكائن، هذه الكلّية الوحيدة التي تُحوّل الكلّ في وحدة تجمعها. حيث توجد جهات متعددة للكينونة، طبقات ودرجات متعددة للكينونة، ففي مقابل هذا التعدد يتمّ عرض نسقية فاهمة، وهو ما ينطوي على مهمة مزدوجة: تصميم هيكل ومبادئ سياق النظام، ثم تخصيص مكانه [6] للكائن المحسوس في مختلف الحقول النظامية للنسق.

في مقاربة كلّيانية الكائن هذه، فإن علاقات النظام على هذا النحو، العلاقات التراتبية، التدرج، الكينونة في كل مرة هي كينونة أخرى وجديدة، تمتلك خاصية غالبة. إن العلائقي على هذا النحو يأتي في الطليعة ويصبح ما هو موضوعي حقيقةً. حيث يُهيمن العلائقي، ويسيطر من حدّ إلى آخر، فهو الذي يشكل الكينونة الفعلية. ما يصدر عن النظام هو غير قابل للتغيير في نفسه، إنه يفلت من التغيير المتحكم فيه، إنه فوق زمني، كينونة، صلاحية، جوهر (بالتعارض مع "الحقيقة المحسوسة").

يتمّ القبض على سياق الكينونة هذا، أو الصلاحية، بوصفه شيئا مستقلا، يعطي قيمته بنفسه وبشكل نهائي، ولكنه مطروح أيضا كفكر وفكرة للروح المطلق، وهذا يحيلنا مرة أخرى إلى المعنى الهيغلي والأوغسطيني والأفلاطونية المحدثة.

ليست لهذه الاختلافات أهمية أساسية بالنسبة للخاصية الأنطولوجية ولموضوعية ما تمّ استهدافه في الرؤية الموجهة ولا بالنسبة

---

[6] - سابق لأوانه. –إحالة هيدغر

للطريقة التي استهدف بها، خاصة أنها (أي الاختلافات) تبقى غير محددة. يمكننا قول الشيء نفسه عن الاختلاف الآخر وهو: في الواقع، علاقات النظام غير محددة الأبعاد بطريقة ساكنة وسطحية، في منظور أفلاطوني، ولكنها موجودة ديالكتيكياً. إذ يفترض الديالكتيك بالتحديد، بالنسبة لإمكانيته الخاصة، أنه يجب أن تكون كلّية الكائن مرئية ومحددة مسبقا كشرط للدخول في النظام. إن القضية الخاصة بالنسبة للديالكتيك هي : تحقيق الوحدة باستمرار، بالتصاعد، أن نتناول جميعا، ونذهب بعيدا لتحقيق المزيد، لا نحيا إلا بفضل هذا الوضع الأساسي لنظام ممكن.

تتجلى صلابة الديالكتيك، التي تخضع لعوامل محددة، بالشكل الأكثر وضوحا لدى كيركغارد. ومن وجهة نظر فلسفية محضة فإنه لم يتحرر من تأثير هيغل. ثمّ إنه تأثر لاحقا بمواقف تراندلنبورغ[7] Trendelenburg والتي تشير إلى أي مدى كانت فلسفته أقل تجذيرا. لم يلاحظ بأن تراندلنبورغ كان يرى أرسطو بنظارات هيغل. إحداث المفارقة في العهد الجديد وفي المسيحية ليس إلا الهيغلية السلبية. لكن ما كان يريده (فينومينولوجياً) شيء آخر. أراد أن يربط النزعة الأساسية الحقيقية للفينومينولوجيا بالديالكتيك، كما نفعل اليوم، كمن يريد أن يخلط النار بالماء.

إن الشرح الذي تقدّمه فلسفة اليوم لنفسها هو الأكثر تعبيرا مما يمكننا القيام به: ""إننا كلنا - ريكر، والفينومنولوجيون- تيار دلتاي- نجد أنفسنا في مواجهة كبيرة ضد اللازماني في الحقيقة التاريخية أو تحتها، من أجل مملكة المعنى وتعبيره التاريخي في ثقافة أصبحت محسوسة، من أجل نظرية للقيمة تقود إلى ما هو موضوعي وصالح"[8].

---

[7]- Friedrich Adolf Trendelenburgفيلسوف وفيلولوجي ألماني ولد سنة 1844 وتوفي سنة 1924. (المترجم).

[8]- *E. Spranger, « Rickerts System », in Logos, 12, 1923-24, p.198.*

في الحقيقة، إن نزوع دلتاي الحقيقي ليس ذاك المشار إليه هنا، وأطالب بأن لا يُحسب دلتاي مع الفينومينولوجيين.

"استهدافُ الموضوعية" يعني بديهيا "اتخاذ مسافة من الذاتي البسيط". وترى هذه الفلسفة نفسها، التي يمكن تسميتها بـ"أفلاطونية البرابرة"[9]، أنها محصنة في مقابل الوعي التاريخي ومقابل الحقيقة التاريخية نفسها. إنها تستنكر كل موقف يتخذ من الحقيقة التاريخية ككائن من التاريخانية، حسب وجهة نظرها. تتعارض الفلسفة كأحد المُمثِلَيْن الخصائصيين لحالة تبيين اليوم مع الممثل الآخر: الوعي التاريخي، وهو تعارض غالب. إن هذا التوتر هو المشكل الظاهر في تبيين اليوم: نحن كلنا...".

ما يشكل جانبا عرضيا في هذا الاندفاع نحو الموضوعي، هو أننا نحيد عن نظرية المعرفة ونظرية العلم، فالقضية الكبرى بالنسبة إلى فيلسوف التاريخ هي الآن الميتافيزيقا الموضوعية. علامة أكيدة تُظهر أننا منجذبون إلى هذا الاتجاه، هو كيف وأين نبحث عن الإحالات في تاريخ الفلسفة. لقد أصبح أرسطو، في التأويل التقليدي، ليبنتز وهيغل نماذج بذاتها. يقدم المحور التأويلي للفلسفة اليوم سياقاً للكينونة الكليانية والتي يمكننا تحديدها ضمن تنظيم كلّياني مناسب. وبالطريقة نفسها، يظهر السلوك الأساسي للوعي التاريخي كتنظيم وترتيب من خلال المقارنات المورفولوجية. (أية كينونة نحصل عليها هنا مسبقا؟ الكينونة هنا- أمام، الكينونة-الحاضر، التغيير الحاضر، تحولات الثقافة. الحصول المسبق، القبض المسبق: تحديد شيء ما = جعله بطريقة ما مُتبنى من طرف فكرة ما.)

[9]- *Cf. Platon, République VI, 511 b-c, éd. Burnet, Oxford, 1906.*